

## الخرافة وحضارة العصر

افرزت الحضارة التقنية افرازا حمل رغبة شديدة الرغاء في كل مجتمعات الانسان في كوكب الارض وكلما زادت التقنيات كلما زاد رغاء ذلك الافراز تحت مسمى اطلق عليه اسم (الخرافة) .

كان الافراز الاول هو ردة فعل ضد الكنسية في قلب اوربا , وقد سبق للكنيسة ان تعاملت مع العلماء الماديين بقساوة شديدة بمحاكمات واعدامات بتهمة (الهرطقة) وهو مصطلح كان يتهم بها العلماء الماديون ... عندما نجحت الثورة دارت الدائرة على رجال الدين تحت مسميات الشعوذة والخرافات وتعامل معهم الثوار بنفس القساوة بل اشد منها ...

بدأ العلم بالنهوض وسرت التطبيقات التقنية في المجتمع الاوربي اولا ومن ثم انتقلت الى بقاع الارض كلها وكانت تحمل معها مضامين غير مكتوبة وعناوين ذات بريق ان كل ماضي هو خرافه ونحن نعيش يومنا بنصر يردفه نصر . لقد صاحب تلك النجاحات التقنية ثورة فكرية عارمة ترفض الدين وقيل ما قيل في الدين انه افيون الشعوب

بعد موجة المرحلة الاولى بدأت المجتمعات وكل حسب ثقافته وقوة معتقداته الدينية يضع مرشحات ذاتية لفصل النشاط العالق بالخرافة عن النشاطات الحياتية الاخرى التي تملك فاعليتها تقنيات العصر ومبادئ العلوم الفيزيائية والبيولوجية والنفسية وقد ساهمت السياسة دورا مهما في تلك المرشحات .

البيانات الموجزة هذه والمتواضعة غير منقولة من رأي في كتاب بل هي حصيلة دراسة شخصية اعتمدت على البيان الشائع والمعروف دون التفاصيل الجزئية لكل مجتمع انساني .

غالبية المجتمعات الانسانية اهملت مساحة محددة لزج المعتقد الديني فيه وحرصت على حمايته من تهم الخرافة كما حصل في دولة الفاتيكان وما تبعه في مجتمعات الارض كلها رغم ان الديانات الاخرى لم يتم عزلها جغرافيا في دوله مثل الفاتيكان الا ان موضوعية التعامل مع الكيان العقائدي نحى نفس المنحى في عملية فصل الدين لاهله والعلم لاهله وقامت هدنه ميدانية بين العلم والاديان عموما . تلك الهدنة هي التي وفرت الحماية للمعتقد الديني ومن مثل تلك الصفات نرصدها على سبيل المثال التوضيحي فمثلا تسمح الادارة الاكاديمية لرجل (سيخي) المعتقد مثلا ان يبقي ذقنه الطويل وان يلبس سواره الفولاذي في معصمه الايمن ويضع عمامته الخاصة فوق رأسه وهو استاذ جامعي يحمل اعلى الشهادات العلمية ...

نفس المنحى سرى في المجتمع الاوربي واستطاع كثير من القساوسة اختراق الاكاديميات العلمية بشهادات علمية وهم بزيهم العقائدي دون معارضه (هدنة الدين والعلم) ولم تهدم الجوامع او الكنائس او المعابد وبقيت قدستها ملك شعوبها في هدنة غير مكتوبة بين العلم والدين .

اذا استطعنا ان نضع تعريفا يرضاه الجميع للخرافة سوف لن يكون الرضا عند الجميع مستكملا لشروط الرضا لذلك سنحاول ان نضع للخرافة تعريفا قد يمثل قاسما مشتركا في رضا الاكثرية ويبقى ذلك التعريف خاضعا للحوار وان كان الحوار موفقا يمكن ان تكون للحوار نتيجة في تعريف الخرافة .

تعريف الخرافة :

عندما نقول هذا الشيخ (خرف) ذلك يعني ان كلامه لا ينضبط مع العقل المعتاد ... عدم انضباط كلام ذلك الطاعن في السن يعني ان مرابط الكلام عنده غير فاعله ...  
عندما عندما تسمع في حكاية ان شخصا استطاع ان يرفع 100 طن وسط جمهور حاشد وذلك الشخص شاب وليس طاعن في السن ... تلك هي خرافة لا تصدق .. لان قدرة الانسان على رفع الاوزان لا تتعدى اجزاء الطن الواحد ... واذا اردنا ان نخلط الوصفين في كلام الطاعن في السن وحكاية الشاب سيكون ان كلاهما يشتركان في انقسام الرابطة المعلوماتية وعدم ترابطها ...

الفهم السائد للخرافة هو : عندما يكون الوصف لا يتطابق مع الحقيقة العلمية او يعارضها عندها تقوم الخرافة مثل حكايات التلبس بالجن او حكايات السحر او حكايات بابا نويل او حمل التعاويذ والطلاسم وقراءة الفنجان او الكف .. كل تلك الموصوفات ومثلها كثرة متكاثرة تسقط رويدا رويدا في مجتمعات تستخدم التقنيات ويلاحظ ان مثل تلك (الخرافات) اكثر حضورا في الريف وتقل في اقرب مدينة وتقل في المدينة الاكبر ومن ثم الاكبر ومن ثم الاكثر تقنية وهكذا حتى تكاد تختفي في المدن الحديثة جدا بتقنياتها ولا تسجل حضورا الا في الحارات الشعبية والاحياء العمالية ذات الطابع القروي .  
سطوري لا تمعن بالوصف ولكنها تربط بين انحسار الخرافة ازاء التقدم التقني ...  
اذن الخرافة في تعريف اولي هي :

**انعدام الترابط العقلاني والعلمي للموصوفات**

ربما يكون هذا التعريف متواضعا مع احترامي البالغ لاي تعريف ورد في بحث او في كتاب او في قول فيلسوف ... سطوري لا تتعامل مع منقولات كلامية ليس تمردا عليها بل بسبب تفردية المعالجة .

إذا قبلنا قبولاً مبدئياً بهذا التعريف فلسوف تكون بين أيدينا مفاجأة كبيرة الا وهي ان :

## العقل خرافه

ذلك ليس من نتاج التعريف المساق اعلاه بل من سقوط المادة العلمية في خرافة العقل وضياع علمية العقل ضياعاً شبه تام واهم راسخة علمية اكااديمية قيلت لغاية اليوم ورفعت كشعار اكااديمي هي ان (العقل بلا جواب)

ليس العلم هو المعيار الوحيد في خرافة العقل بل العقلانية تضيق عندما يريد (المنطق العقلاني) ان يضع العقل على طاولة بحث منطقي كلامي

عندما وضع احد المفكرين العقل على الطاولة البحثية انكر وجوده ولم يستطع ان يلم شتات وجوده الا من خلال مقولة مشهورة (انا افكر اذن انا موجود)

لم يستطع العلم يردفه المفكرون وفلاسفتهم ان يضعوا تعريفا للعقل !! على مر حضارات الانسان جميعها .. انه الخلق الذي لا يعرف بنفسه .. موجود ولكنه لا يعرف بنفسه مثل جزيئة الماء او مثل جسيمات المادة .. انه ظلام دامس .. لا يمتلك حيز .. لا يمتلك وزن .. لا يمتلك طول او عرض او ارتفاع (بلا ابعاد) .. ليس له كتلة او وزن .. لا طعم له .. لا رائحة له .. لا تمسكه القوى المغناطيسية .. لا يجذب ولا ينجذب .. انه العقل بلا جواب

انه اذن خرافة القرن الحادي والعشرين ... بل الخرافة الحضارية التي تفرض نفسها على الحضاره بكامل هيبتها بل انه خرافة ازلية ...

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) (الاسراء:89)

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت:43)

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) (الأعراف:169)

إذا كان العقل خرافه فهل تستطيع تقنيات العصر ان تمحقه كما محقت كل الخرافات !!!

الحاج عبود الخالدي - باحث قرعاني مستقل